

تفسير البحر المحيط

@ 411 أي لحم متبع ، ويتعلق بحرمانا . وتقدم السبب على المسبب تنبيهاً على فحش الظلم وتقبيحاً له وتحذيراً منه . والطيبات هي ما ذكر في قوله : { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْبَانٌ وَيَعُضُ الطَّيْرُ وَالْحَوْتُ ، وَأُحِلَّتْ لَهُمْ صِفَةُ الطَّيْبَاتِ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ . وَأَوْضَحَ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ : طَيِّبَاتٌ كَانَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ . . }
{ وَبِمَصَدِّهِمْ ° عَنِ سَيِّلِ اللَّاهِ كَثِيرًا } أي ناساً كثيراً ، فيكون كثيراً مفعولاً بالمصدر ، وإليه ذهب الطبري . قال : صدوا بجحدهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم (جمعاً عظيماً من الناس ، أو صد كثيراً . وقدره بعضهم زماناً كثيراً . .)
{ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّا وَقَدَّ نُهُوَا ° عَذِّهُ } وهذه جملة حالية تفيد تأكيد قبح فعلهم وسوء صنيعهم ، إذ ما نهى الله عنه يجب أن يبعد عنه . قالوا : والربا محرم في جميع الشرائع . .
{ وَأَكْذَلَهُمْ ° أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبِاطِلِ } أي الرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب . وفي هذه الآية فصلت أنواع الظلم الموجب لتحريم الطيبات . قيل : كانوا كلما أحدثوا ذنباً حرم عليهم بعض الطيبات ، وأهمل هنا تفصيل الطيبات ، بل ذكرت نكرة مبهمة . وفي المائدة فصل أنواع ما حرم ولم يفصل السبب . فقيل : ذلك جزيناهم ببغيهم ، وأعيدت الباء في : { وَبِمَصَدِّهِمْ ° } لبعده عن المعطوف عليه بالفصل بما ليس معمولاً للمعطوف عليه ، بل في العامل فيه . ولم يعد في : { وَأَخَذَهُمُ } وأكلهم لأن الفصل وقع بمعمول المعطوف عليه . ونظير إعادة الحرف وترك إعادته قوله : { فَبِمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ ° } الآية . وبدء في أنواع الظلم بما هو أهم ، وهو أمر الدين ، وهو الصد عن سبيل الله ، ثم بأمر الدنيا وهو ما يتعلق به الأذى في بعض المال ، ثم ارتقى إلى الأبلغ في المال الدنيوي وهو أكله بالباطل أي مجاناً لا عوض فيه . وفي ذكر هذه الآية امتنان على وجه الأمة حيث لم يعاملهم معاملة اليهود فيحرم عليهم في الدنيا الطيبات عقوبة لهم بذنوبهم . .
{ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ ° عَذَابًا * مُهِينًا } لما ذكر عقوبة الدنيا ذكر ما أعد لهم في الآخرة . ولما كان ذلك التحريم عاماً لليهود بسبب ظلم من ظلم منهم ، فالتزمه ظالمهم وغير ظالمهم كما قال تعالى : { وَاتَّقُوا ° فِتْنَةَ لَأَنَّ تَصْرِيحَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ° مِنْكُمْ ° خَاصَّةً } بين أن العذاب الأليم إنما أعد للكافرين منهم ، فلذلك لم يأت وأعتدنا لهم . .

{ لا كِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ
وَالْمُؤْمِنِينَ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ ، لَأَنَّهُمْ
دَاخِلَةٌ بَيْنَ نَقِيزِينَ وَجَزَائِهِمَا ، وَهُمْ : الْكَافِرُونَ وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْأَجْرُ الْعَظِيمُ ،
وَالرَّاسِخُونَ الثَّابِتُونَ الْمُنْتَصِبُونَ الْمُسْتَبْصِرُونَ مِنْهُمْ : كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْرَابِهِ ، وَالْمُؤْمِنُونَ
يَعْنِي مِنْهُمْ ، أَوْ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ عَامٌ فِي مَنْ آمَنَ .
وَارْتَفَعَ الرَّاسِخُونَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَالْخَبْرُ يُؤْمِنُونَ لَا غَيْرَ ، لِأَنَّ الْمَدْحَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ
الْجُمْلَةِ . وَمَنْ جَعَلَ الْخَبْرَ أَوْلَيْكَ سَنَوْتِيهِمْ فَقَوْلُهُ ضَعِيفٌ ، وَانْتَصَبَ الْمُقِيمِينَ عَلَى الْمَدْحِ ،
وَارْتَفَعَ وَالْمُؤْتُونَ أَيْضًا عَلَى إِضْمَارٍ وَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْقَطْعِ إِلَى الرَّفْعِ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْطَفَ عَلَى
الْمَرْفُوعِ قَبْلَهُ ، لِأَنَّ النِّعْتَ إِذَا انْقَطَعَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ لَمْ يَعُدْ مَا بَعْدَهُ إِلَى إِعْرَابِ الْمَنْعُوتِ ،
وَهَذَا الْقَطْعُ لِبَيَانِ فَضْلِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَكَثُرَ الْوَصْفُ بِأَنْ جَعَلَ فِي جُمْلَةٍ .
وَقَرَأَ ابْنُ جَبْرِ ، وَعَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ ، وَالْجَدْرِيُّ ، وَعَيْسَى بْنُ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، وَعَصْمَةُ
عَنِ الْأَعْمَشِ وَيُونُسَ وَهَارُونَ عَنِ أَبِي عَمْرٍو : وَالْمُقِيمُونَ بِالرَّفْعِ نَسْقًا عَلَى الْأَوَّلِ ، وَكَذَا هُوَ فِي
مِصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ الْفَرَاءُ . وَرَوَى أَنَّهَا كَذَلِكَ فِي مِصْحَفِ أُبَيٍّ . وَقِيلَ : بَلْ هِيَ فِيهِ ،
وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةِ كَمِصْحَفِ عَثْمَانَ . وَذَكَرَ عَنِ عَائِشَةَ وَأَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ : أَنَّ كِتَابَهَا بِالْيَاءِ مِنْ خَطِّ
كَاتِبِ الْمِصْحَفِ ، وَلَا يَصِحُّ عَنْهُمَا ذَلِكَ ، لِأَنَّهُمَا عَرَبِيَانِ فَصِيحَانِ ، قَطَعَ النِّعْتَ أَشْهَرَ فِي لِسَانِ
الْعَرَبِ ، وَهُوَ بَابٌ وَاسِعٌ ذَكَرَ عَلَيْهِ شَوَاهِدٌ سَبِيوِيَّةٌ وَغَيْرُهُ ، وَعَلَى الْقَطْعِ خَرَجَ سَبِيوِيَّةٌ ذَلِكَ .
قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَلَا نَلْتَفِتُ إِلَى مَا زَعَمُوا مِنْ وَقُوعِهِ لِحَنًا فِي خَطِّ الْمِصْحَفِ ، وَرَبَّمَا التَّفْتِ
إِلَيْهِ مَنْ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ وَلَمْ يَعْرِفْ مَذَاهِبَ الْعَرَبِ وَمَا لَهُمْ فِي النِّصْبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ مِنَ الْإِفْتِتَانِ
، وَعَنْ عَلَيْهِ : أَنَّ السَّابِقِينَ الْأَوْلِيْنَ الَّذِينَ مِثْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي